وصايا يعقوب عليه السلام لأبنائه
من خلال سورة يوسف

بقلم
د. سعود بن عبد العزيز الحمد
الأستاذ المشارك بقسم القرآن وعلومه
كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد... فإن تربية الأولاد والاهتمام بما يصلح شؤونهم في أمور الدين والدنيا من أهم الواجبات وأعظم المتحتمات والقرآن الكريم هو دستور دين الإسلام وكتاب الهداية والإرشاد للمؤمنين ما ترك شاردة ولا واردة إلا اهتم بها وبين وجه الحق فيها ولذا كان النظر فيه قراءةً وفهماً وتدبراً للعمل بما احتواه واشتمل عليه من الأمور التي يجب على المسلم أن يعض عليها بالنواجذ وأن يسابق إليها وينافس في ميادينها خاصة في هذه الأزمنة المتأخرة والتي كثر فيها الجهل والبعد عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفتن الناس فيها صغاراً وكباراً نساءً ورجالاً بأمور وملهيات أبعدتهم عن قرآنهم وتدبره والعمل بما فيه فكان لابد من العودة إلى هذا النبع ا لصافي والمورد الزلال. كتاب الله الكريم. وتقليل الفكر في آياته والنظر فيها نظر متدبر متفكر..

ولقد حوى كتاب الله من ضمن ما حوى آيات عديدة في مواطن مختلفة تدور حول اهتمام الآباء بالأبناء وتوجيههم لما يفيد خاصة من أنبياء الله وأصفيائه الذين تلقوا عن الخالق وأخذوا عنه فكانت توجيهاتهم نبراساً ينبغي للمسلم الإفادة منه ونوراً يجب الاهتداء به ومن بين هؤلاء نبي الله يعقوب عليه السلام في قصته مع ابنه يوسف عليه السلام وأخوته وحقدهم عليه وتدبيرهم للمكائد حتى يبعدون عن أبيه وموقف هذا الشيخ الجليل الكريم وتوجيهه لأبنائه حتى وهم في غيهم سادرون وعن الحق بعيدون ومن ثم جاءت النتائج في صالح الوالد الصابر المعتصم بالله كل ذلك جاء بأسلوب رفيععظيم تتقاصر أساليب العظماء والأدباء والبلغاء مهما وصلت ومهما بلغت أن تصل عشر معشاره ولا غرابة في ذلك فهو كلام رب العالمين الذي لا يدانيه كلام ولا يقترب منه وقد أحببت عرض هذه الوصايا وإفرادها وجمع أقوال المفسرين فيها إفادة لنفسي أولاً ولمن يقف عليه من إخواني علّ الله أن ينفع به وأسميته: **وصايا يعقوب لأبنائه من خلال سورة يوسف.**

وقد تطلب البحث في هذا الموضوع معالجته في سبعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الوصية لغةً واصطلاحاً

المبحث الثاني: موجز لقصة يوسف مع والده عليهم السلام وإخوته.

المبحث الثالث: الوصية الأولى "يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا". الحسد.

المبحث الرابع: الوصية الثانية "إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون". أخذ الحيطة والحذر.

المبحث الخامس: الوصية الثالثة "وقال يا بني لا تدخلوا من بابٍ واحدٍ وادخلوا من أبواب متفرقة". العين.

المبحث السادس: الوصية الرابعة "يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله". عدم اليأس من روح الله.

المبحث السابع: الوصية الخامسة "فلما أن جاء البشير .. إلى قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون". التثبت وعدم الاستعجال في الأحكام.

الخاتمة

الفهارس

والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يرزقنا الفقه في الدين إنه سميعٌ مجيب وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

تعريف الوصية لغة واصطلاحاً

قال في معجم مقاييس اللغة: "الواو والصاد والحرف المعتل: أصل يدل على وصل شئ بشئ. ووصيت الشئ وصلته ويقال: وطئنا أرضاً واصية أي أن نبتها متصل قد امتلأت منه. ووصيت الليلة باليوم: وصلتها وذلك في عمل تعمله. والوصية فمن هذا القياس كأنه كلام يوصي أن يوصل يقال: وصيته وصية وأوصيته إيصاء"(١). إذن الوصية في اللغة تدور حول الوصل أي وصل شئ بشئ وهذا المعنى اللغوي مطابق للمعنى الاصطلاحي للوصية كما سنتبين بإذن الله.

وقال في المفردات في غريب القرآن: "الوصية التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظ.. من قولهم أرض واصية: متصلة النبات قال تعالى: ﴿**وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ**﴾(٢)، وقل سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ**﴾(٣)، ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ**﴾(٤)، ﴿**مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا**﴾(٥)، ﴿**حِينَ الوَصِيَّةِ اثْنَانِ**﴾(٦)...

وتواصى القوم إذا أوصى بعضهم إلى بعض قال تعالى: ﴿**وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾(٧)، ﴿**أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾(٨، ٩).

قال الهروي: "يوصيكم أي: يفرض عليكم لأن الوصية من الله فرضُ"(١٠).

ويقول الشيخ صالح الأطرم: إذا استقرأنا نصوص الكتاب والسنة واللغة العربية ألفينا الوصية تأتي بمعنى الأمر المؤكد لقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِن**

(١) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١١٦/٦. وانظر في معنى وصى تهذيب اللغة الأزهري ٢٦٧/١٢.
(٢) سورة البقرة، من الآية ١٣٢.
(٣) سورة النساء، من الآية ١٣١.
(٤) سورة العنكبوت، من الآية ٨. وسورة لقمان، الآية ١٤. وسورة الأحقاف، الآية ١٥.
(٥) سورة النساء، من الآية ١١.
(٦) سورة المائدة، من الآية ١٠٦.
(٧) سورة العصر، من الآية ٣.
(٨) سورة الذاريات، الآية ٥٣.
(٩) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٥٢٥.
(١٠) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ٣٦٦/٤.

قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[1]، وقوله تعالى: **﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾**[2]، فدلت الآيتان على تأكد الأمر بالتزام كلمة التوحيد والتقوى .. وتأتي الوصية بمعنى العهد فيقال: أوصي إلى فلان بكذا أي عهد إليه كما لو عهد إليه بتدبير أولاده الصغار وغير العقلاء من بعد موته أو في حال غيبته.

وتأتي الوصية بمعنى الوصل[3]:

قال في الفتح: "الوصايا جمع وصية كالهدايا .. وتطلق على فعل الموصي وعلى ما يوصى به من مال أو غيره من عهد ونحوه فتكون بمعنى المصدر وهو الإيصاء وتكون بمعنى المفعول وهو الاسم .. وفي الشرع عهد خاص مضاف إلى ما بعد الموت وقد يصحبه التبرع... وسميت وصية لأن الميت يصل بها ما كان في حياته بما بعد مماته. ويقال وصية بالتشديد ووصاة بالتخفيف بغير همز..

وتطلق شرعاً أيضاً على ما يقع به الزجر عن المنهيات والحث عن المأمورات[4]:
المأمورات[4]:

إذن الوصية هي التبرع بالمال بعد الموت والتصرف بالحق وتطلق كذلك على الأمر المؤكد الذي يقع به الزجر عن المنهيات والحث على المأمورات.

ولا شك أن هناك تلازماً بين هذين المعنيين لأن التبرع بالمال بعد الموت أمر مؤكد يؤكده الميت بهذه الوصية ويصل به ما كان في حياته وكونه بلفظ الوصية فيه. الأمر المؤكد المصحوب بالحث والزجر وعدم مخالفة المأمور به ووصية الميت غالباً ما تشمل هذين النوعين لأن فيها الأمر الذي يقع به الزجر عن المنهيات والحث على المأمورات وفيها التأكيد على أمور تصل ما كان في حياة الميت بما بعد مماته من سداد ديونه والتصدق عنه والقيام بشؤون أولاده الصغار وما إلى ذلك.

---

(١) سورة النساء، من الآية ١٣١.
(٢) سورة البقرة، من الآية ١٣٢.
(٣) الوصية بيانها وإبراز أحكامها للشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم ص ٧ وما بعدها.
(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ٣٥٥/٥. وانظر أيضاً: تخريج الوصايا من خبايا الزوايا وصايا الله ووصايا رسوله ووصايا صالحي أمته وأحكام الوصية في السنة المطهرة لصدِّيق حسن القنوجي البخاري٢٥. وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي ٢٢٥٩/٥.

المبحث الثاني
موجز لقصة يوسف عليه السلام مع والده وإخوته

ساق القرآن الكريم قصة يوسف مع والده وإخوته في سورة كاملة من سور القرآن حمل اسم سورة يوسف وهي السورة الثانية عشرة من سور القرآ، الكريم حسب ترتيب المصحف وهذه القصة فيها من العبر والعظات الشئ الكثير ويكفينا إلقاء نظرة خاطفة على آيات هذه السورة الكريمة وما قاله المفسرون عند تفسيرهم لآياتها لنقف على عدد من التوجيهات والتنبيهات والفوائد والفرائد والتي جاءت بأسلوب بديع محكم يسمو على كل أسلوب ويرتفع على كل كلام.

فلقد ابتدأ القرآن الحديث عن قصة يوسف مع إخوته بقوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾(١). فأدرك الوالد بثاقب عقله وبعد نظره وقبل ذلك بما علمه الله تعالى أن هذه الرؤيا حق وأنها بشارة لهذا الابن أنه يسير على درب الآباء يعقوب وإسحاق وإبراهيم فحذره والده من تحديث إخوته بهذه الرؤية إذ يعرفون تأويلها فيحسدونه على ذلك وقد يحملهم الحسد على إلحاق الضرر به ولهذا قال له: ﴿**لاَ تَقْصُصْ رُؤيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً**﴾(٢). ولقد تفطن الأبناء إلى محبة خاصة من قبل أبيهم ليوسف وأ×وه يعنون بنيامين فتشاوروا بينهم وقلبوا الأمر مع بعضهم: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾(٣). فنحن أحق بمحبة أبينا أكثر منهما ونحن جماعة أكثر فاتهموا والدهم بالضلال لتفضيله المفضول على الفاضل بزعمهم. فتشاوروا بينهم فيما يفعلونه بيوسف فكان مما دار بينهم قول بعضهم: ﴿**اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ**﴾(٤). فأشار بعضهم بقتله وأشار البعض بطرحه في أرض مجهولة لا يعرفها الأب ولا يمكن ليوسف أن يعرف طريق الوصول إلى والده وبذلك يخل لكم وجه

(١) سورة يوسف، الآية ٤.
(٢) سورة يوسف، من الآية ٥.
(٣) سورة يوسف، الآية ٨.
(٤) سورة يوسف، الآية ٩.

أبيكم لأنه إذا فقده أقبل عليكم وأحبكم: "وتكنوا من بعده قوماً صالحين" أي تتوبون إلى الله عما أجرمتم وتصيرون من القوم الصالحين.

ولكن هذا العمل لم يعجب بعض أخوته فاقترح عليهم إلقاء يوسف فى جبٍّ يلتقطه بعض الأقوام الذين يسيرون ويمرون على هذا الجبّ وبهذا تتخلصون من يوسف من دون ارتكاب جريمة قتل: ﴿**قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ**﴾(١).

وشرعوا في تنفيذ هذه المؤامرة فراودوا الأب عن الابن كي يخرج معهم إلى الصحراء ولكن الأب الرحيم على ابنه كان يخشى عليه منهم فتمنع واعتذر بالخوف من أن يغفلوا عنه فيأكلها لذئب وهم عنه غافلون ولكن الأبناء أجابوا بقولهم: ﴿**لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ**﴾(٢). فوافق الأب على مضض فخرجوا به وفعلوا فعلتهم ولكن الله أوحى إلى يوسف بأنك ستنجو مما أنت فيه وتحدثهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون. ﴿**فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَةِ الجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**﴾(٣). ولما رجعوا إلى أبيهم بدونه جاءوا وهم يبكون ويقولون بأن ما خاف منه الوالد قد وقع حيث تركوا يوسف عند متاعهم وذهبوا للسباق فأكله الذئب وجاءوا على قميصه بدم كذب ليؤكدوا عملهم ولكن الوالد لم يصدقهم فقال لهم: ﴿**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ المُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾(٤). أما يوسف فقد بقى في الجبّ حتى جاءت رفقة تسير للسفر فأرسلوا من يسقي لهم الماء فأدلى دلوه في البئر ليملأها فتعلق يوسف بها للخروج فأخذه وباعه على قافلة متجه إلى مصر ولما وصلت القافلة إلى مصر ومعها يوسف باعته وكان الذي اشتراه عزيز مصر وقال لامرأته: ﴿**أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً**﴾(٥). وقد مكن الله ليوسف في الأرض وعطف عليه قلب العزيز وصارت له مكانة ومنزلة في مصر وآتاه الله حكماً وعلماً .. ولكن الأمور لا تدوم على حالها فلما بلغ مبلغ الرجال وكان على قدر كبير من الجمال

(١) سورة يوسف، الآية ١٠.
(٢) سورة يوسف، الآية ١٤.
(٣) سورة يوسف، الآية ١٥.
(٤) سورة يوسف، من الآية ١٨.
(٥) سورة يوسف، من الآية ٢١.

والحسن راودته التي هو في بيتها بعد أن فتنت به وبجماله وشغف قلبها بحبه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك فقال معاذ الله أن أخون من أكرمني وهرب منها فلحقت به وتعلقت بقميصه لتمنعه من الخروج فشقت قميصه من الخلف ووجدا زوجها عند الباب فعند ذلك ذهب إلى الحيلة: ﴿**قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾(١). فأراد يوسف الدفاع عن نفسه فقال: ﴿**قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي**﴾(٢). وشهد شاهد من أهلها قيل أنه ابن عمها فقال: ﴿**إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ**﴾(٣).

فلما رأى زوجها أن قميصه قد من دبر وأنه صادق وهي كاذبة طلب من يوسف الإعراض عن ذكر هذه الواقعة حتى لا ينتشر خبرها ولا يحصل العار بسببها وطلب من زوجته الاستغفار على ما بدر منها أي طلب العفو والمسامحة من زوجها. ولكن الخبر شاع في المدينة وانتشر وتحدثت به النساء في المجتمع فأرادت هي أن تبين لهن السبب الذي دعاها لهذا الفعل فأرسلت إليهن ودعتهن ثم أعدت لكل واحدة منهن مجلساً وأعطتها سكيناً حادة وشيئاً تقطعه وقالت ليسوف أخرج عليهن فخرج عليهم فلما رأينه أكبرنه. أي أعظمنه لجماله الفائق وقطعن أيديهن بالسكاكين ولم يشعرن بالألم لما أصابهن من حب يوسف: ﴿**وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ**﴾(٤). فلما رأت ذلك منهن أعلنت حبها ليوسف وتعلقها به على الملأ: ﴿**قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ**﴾(٥). **الصَّاغِرِينَ**﴾(٥). ولما سمع يوسف تهديد امرأة العزيز له بالسجن إذا لم يحقق لها رغبتها وينفذ ما تطلبه منه كان جوابه الرفض القاطع وأن السجن أحب إليه من هذا الفعل: ﴿**قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الجَاهِلِينَ**﴾(٦). وقد استجاب الله دعاءه حيث أن العزيز وأهله بعد ما رأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وخافوا من الفضيحة قرروا سجنه فترة من الزمن حتى يقطعوا كلام

(١) سورة يوسف، من الآية ٢٥.
(٢) سورة يوسف، من الآية ٢٦.
(٣) سورة يوسف، من الآية ٢٦.
(٤) سورة يوسف، من الآية ٣١.
(٥) سورة يوسف، الآية ٣٢.
(٦) سورة يوسف، الآية ٣٣.

الناس وأحاديثهم بشأن امرأة العزيز لأنه بهذا السجن يبدو للناس براءتها. وأدخل يوسف السجن واتخذ من السجن مركزاً للدعوة إلى الله ونشر دينه بين المساجين فأحبه السجناء وبدءوا يلتفون حوله ويسألونه عن كل ما يشكل عليهم: ﴿**وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْراً وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رأْسِي خُبْزاً تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ المُحْسِنِينَ، قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ**﴾(١).

واستغل يوسف الموقف ودعا إلى دين الله ثم خاض في حوار حول الشرك وبطلانه والتوحيد وأحقيته: ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ، مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾(٢). ولما فرغ من دعوتهما إلى التوحيد والإسلام عبر لهما الرؤيا وقال للذي ظن أنه ناج منهما أذكر قصتي عند ربك وهو الملك فنسى أن يذكر ما وصاه به يوسف فلبث في السجن سنين عديدة. ولما أراد الله له الخلاص رأى الملك رؤيا ففزع منها وعرضها على قومه وخاصته فقالوا أضغاث أحلام وهنا تذكر ساقي الملك موقفه مع يوسف في السجن وطلب من الملك أن يرسله إلى يوسف فذهب إليه وسأله فأخبره بتأويل الرؤيا فأعجب الملك بهذا التعبير وأمر بإخراج يوسف من السجن فرفض يوسف الخروج وطلب من الرسول أن يرجع للملك ويسأله عن النسوة اللاتي قطعن أيديهن ما شأنهن وما جبرهن ولم يكشف له عن القصة ولا أوضحها له مما يهيج الملك على الكشف والبحث والاستعلام فتظهر براءته وقد سأل الملك النسوة بعد أن جمعن مع امرأة العزيز وهو وزير الملك فأنكرن هذا الأمر ولكن امرأة العزيز أقرب بما حصل منها: ﴿**قَالَتِ امْرَأَةُ العَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾(٣). فلما تبين لهم براءته أردوا مكافأته ﴿**وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ، قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾(٤). وصار ليوسف التمكين في أرض مصر ينزل منها

(١) سورة يوسف، الآيتان ٣٦، ٣٧.
(٢) سورة يوسف، الآيتان ٣٩، ٤٠.
(٣) سورة يوسف، من الآية ٥١.
(٤) سورة يوسف، الآيتان ٥٤، ٥٥.

حيث يشاء وتصرف فيها كيف يشاء.. وعم البلاء والقحط بلاد مصر وما جاورها وجاء الناس يشترون الطعام من مصر وكان يوسف يبيع الطعام بثمنه وجاء إخوته ودخلوا عليه يريدون شراء الطعام فعرفهم ولم يعرفوه لأنه فارقهم صغيراً ولم يدر بخلد أحد منهم أن يصل إلى هذه المكانة والمنزلة فقال يوسف كالمنكر عليهم ما أقدمكم إلى بلادي قالوا قدمناه للميره وحصل بينهم وبينه نقاش عرف منه أن أخاهم وهو شقيق يوسف عند والده فطلب منهم المجئ به في المرة القادمة وإن لم يأتوا به فلا كيل لهم عنده فلما رجعوا إلى أبيهم عرضوا الأمر على أبيهم وأخبروه بما حصل لهم وطلبوا منه إسال معهم فرفض وقال ﴿**قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾(١). وحاولوا مع أبيهم وقطعوا له العهود والمواثيق أن يأتوا به إلا أن يحاط بهم فوافق الوالد على إرساله مع خوفه وقلقه عليه ثم نصحهم ووجههم بعدم الدخول من باب واحد وأن يدخلوا من أبواب متفرقة خشية العين ولما دخلوا على يوسف أنزل أخاه في الموضع الذي كان يأوي إليه وأعلمه أنه أخوه وقال لا تبتأس بما كانوا يعملون .. ثم جعل الساقية في رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون وبدأت المحاورة بينهم وبين رجال يوسف وأخبروهم بأنهم فقدوا صواع الملك فقال إخوة يوسف ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ**﴾(٢). ثم دار حوار بين أخوة يوسف وفتيان يوسف ﴿**قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ، قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ**﴾(٣). وبدأ التفتيش وكانت البداية بأوعيتهم هم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه عند ذلك قال إخوته ﴿**قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَاناً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ**﴾(٤). وتذكروا عهدهم مع أبيهم ورجعوا يستعطفون يوسف أن يأخذ أحدهم مكانه ولكنه رفض فرجعوا إلى أبيهم وأخبروه الخبر ورووا لها لحادثة فقال ﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾(٥). وأخذ يعقوب يبكي ويسأل

(١) سورة يوسف، الآية ٦٤.
(٢) سورة يوسف، الآية ٧٣.
(٣) سورة يوسف، الآيتان ٧٤، ٧٥.
(٤) سورة يوسف، الآية ٧٧.
(٥) سورة يوسف، الآية ٨٣.

الله أن يرد عليه أبناءه حتى عمي من كثرة البكاء ثم أمر أولاده بالبحث عن يوسف وأخيه وأن لا ييأسوا من روح الله ولا يقنطوا فذهبوا إلى مصر ولما دخلوا على يوسف وهم لم يعرفوه بعد شكوا إليه أحوالهم وما لحق بهم من الضرر عندها كشف يوسف لهم عن شخصيته فبهتوا وخجلوا من أفعالهم وخافوا الانتقام ولكن يوسف طمأنهم وعفا عنهم ﴿**قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾(١). وأرسل يوسف قميصه مع أخوته إلى واله ليبشره بحياته وسلامته وسلامة أخيه فلما قربت العير من يعقوب قال لمن حوله إني لأجد ريح يوسف لولا أن تتسبوني إلى الخرف والهرم فلامه أحفاده ومن حضر عنده من قومه على استمرار ذكره ليوسف وأنه لن ينساه حتى يهلك فملا جاء البشير ألقى القميص على وجهه فارتد بصيراً عندها ﴿**فَلَمَّا أَن جَاءَ البَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(٢). عندها ندم الأبناء وطلبوا من أبيهم أن يستغفر لهم وأن يعفو عنهم ثم ارتحل الجميع إلى يوسف في مصر فدخلوا عليه وسجد الجميع له ﴿**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى العَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقاً**﴾(٣، ٤)، وهكذا يبين كتاب الله تفاصيل هذه القصة ويوضح مواطن العبرة والعظة منها بأسلوب بديع جميل أخاذ .. وهي قصة مليئة بالعبر والعظات لمن يتدبرها ويفكر فيها وبالله التوفيق ...،

(١) سورة يوسف، الآية ٩٢.
(٢) سورة يوسف، الآية ٩٦.
(٣) سورة يوسف، من الآية ١٠٠.
(٤) بتصرف من: تفسير ابن كثير ج٢/٢٢٦ وما بعدها.
بتصرف من: تفسير القاسمي ١٨٦/٩ وما بعدها.
بتصرف من: تفسير الفخر الرازي ٨٣/١٨ وما بعدها.
بتصرف من: تفسير ابن عطية ٢٤٥/٩ وما بعدها
بتصرف من: تفسير القطبي ٧٩/٩ وما بعدها
بتصرف من: تفسير الزمخشري ٢٤٠/٢ وما بعدها
والمستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة لعبد الكريم زيدان/٢٥٣ وما بعدها

المبحث الثالث

الوصية الأولى
يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً

تفادي أسباب الحسد:

الحسد صفة ذميمة وخصلة مكروهة بسببه خرج إبليس من الجنة وأبعد من رحمة الله تعالى وأبدل بالقرب بعداً وبالجنة ناراً تلظى.

والحسد لغة: قال في لسان العرب: "الحسد معروف حسده يحسده حسداً وحسده إذا تمنى أن تتحول إليه نعمته وفضيلته أو يسلبهما هو.

وقال: الحسد أن يرى لأخيه نعمة فيتمنى أن تزول عنه وتكون له دونه.

والغبط: أن يتمنى أن يكون له مثلها ولا يتمنى زوالها عنه(١).

والدس اصطلاحاً: تمنى زوال النعمة سواء صار له مثلها أو لميصر له مثلها وربما كان مع ذلك سعي في إزالتها(٢)، ومنشأ الحسد من الحقد الذي يعمي القلب فيكون الحسد.

فقد قال الله تعالى: ﴿**وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم**﴾(٣)، وقال سبحانه: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً**﴾(٤).

وجاء في السنة المطهرة ذم الحسن والتحذير منه في جملة من أحاديث المصطفى ﷺ. ففي حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **{إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات**

(١) لسان العرب لابن منظور الأفريقي ١٤٨/٣، ١٤٩.
(٢) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ٤٦٧/١، والتعريفات للحرجاني ٨٧. وتهذيب اللغة الأزهري ٢٨١/٤. وفتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعيد د. عبد الله الطيار، وسامي المبارك ٢١٩.
(٣) سورة البقرة، من الآية ١٠٩.
(٤) سورة النساء، الآية ٥٤.

كما تأكل النار الحطب أو قال العشب}[1]. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **{لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث}**[2].

والحسد على ثلاث مراتب:

أشدها تحريماً وأخطرها: تمني زوال النعمة عن الغير ويزداد الأمر تحريماً إذا سعى في زوال نعمة أنعمها الله على غيره من باب الحقد والحسد.

وثاني هذه المراتب: تمني اصطحاب عدم النعمة فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة فيتمنى دوام ما فيه من نقص أو عيب كالفقر والجهل والمرض وهذا حرم.

وثالث هذه المراتب: حسد الغبطة وهو أن يتمنى مثل حال المحسود من غير زوال النعمة عنه فهذا لا بأس به ولا يعب صاحبه بل هو قريب من المناقشة وقد ثبت في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: **{لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجلٌ آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وأناء النهار}**[3]. وللحسد أسبابه ودوافعه التي تغذيه بحيث تجعل قلب الحاسد يمتلئ غيظاً وكمداً على من يحسده وربما دفعه ذلك إلى أشد من الحسد فقد يوصله إلى القتل عياذاً بالله من ذلك.

ومن أبرز أسباب الحسد ودوافعه:

* عدم الرضا والقناعة بقسمة رب العالمين في أمور الدنيا فتجد البعض ساخطاً دائماً لماذا فلان عنده مال وأنا ليس عندي لماذا فلان وصل إلى ما وصل إليه وأنا لست كذلك.
* الحقد والعداوة والبغضاء فالمبغض لا يحب أن يرى ممن يبغض نعمة عليه من الله عز وجل بل يحب أن يراه دائماً في سفال وضياع.

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الأدب باب في الحسد ٣٩٩/٤، رقم ٣٩٠٤، والحديث ذكره البخاري في تاريخه الكبير، وقال "لا يصح" وضعفه السيوطي راجع فطن القدير ١٢٥/٣.

(٢) أخرجه البخاري كتاب الأدب باب: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ٢٠/١٠ رقم ٦٠٦٦، مسلم كتاب تحريم الظن ١٠/٨ رقم ٢٥٦٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: اعتباط أصحاب القرآن ٩٥/١٠ رقم ٥٠٢٥، مسلم كتاب صلاة المسافر من باب فضل من يقوم بالقرآن ٣٥/٣ رقم ٣٢٠٩.

* العُجبُ وهو داء خطير يدفع صاحبه إلى الحسد بل يدفع صاحبه رد الحق فالمغرر والمعجب بنفسه لا يحب أن يعلو عليه أحد من الناس.

والحسد له آثره السيئة على الأفراد والمجتمعات وما ظهر مرض الحسد في أمةٍ إلا تفرقت وتناحرت وذهب مجدها وضعف سلطانها وأخذ أفرادها يكيد بعضهم لبعض وعم فيهم التباغض والشحناء وهنا تكون الحياة في هذا المجتمع جحيماً لا يطاق.

وعلى الحاسد أن يعلم أن حسده لا يضر من حسده بل يرجع إليه هو فيما يعانيه من قلق نفسي وكآبة وحزن وعلى الحاسد أن يرضى بقسمة الله التي قسمها له في هذه الدنيا وليعلم أن الحسد ليس الطريق الموصل إلى ما فات وعلى المسلمين أن يتقوا الله في أنفسهم وفي إخوانهم الملمين لأن في ذلك الخير كل الخير للمجتمع المسلم بأسره"[١].

ولقد قص لله علينا في سورة يوسف هذا الموقف بين نبي الله يعقوب وابنه يوسف عليهم السلام عندما قص عليه يوسف الرؤيا التي رآها وأدرك يعقوب بثاقب نظره ورجاحة عقله وبما أعطاه الله من العلم أن هذه الرؤيا حق وأنها بداية بلاء لابنه يوسف فلما سمع ذلك حذره من أن يحدث إخوته بها إذ قد يعرفون تأويلها فيحسدونه على ذلك وقد يحملهم الحسد على إلحاق الضرر به ولهذا قال الله تعالى على لسانه ﴿**لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً**﴾. ومن هذا التوجيه الكريم يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر. وفيه أيضاً ما يدل على أن الحسد قد يقع من أقرب الأقربين. حيث وقع هنا ليوسف من إخوته. والشيطان حريص كل الحرص على الإيقاع بين الناس وحرصه أشد على الإيقاع بين الأخ وأخيه والزوج وزوجه والابن وأبيه ليفرق الشمل ويقطع أواصر المحبة ويذهب الصفاء ليحل محله الكدر والبلاء .. ولكن يوسف عليه السلام لم يمتثل لما طلب منه والده أو أن إخوته علموا بأمره لأمرٍ يريده الله فكان منهم ما أخبر الله به في قوله: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ**﴾[٢]. ثم بيتوا النية على أبعاد يوسف عن أبيهم والتفريق بينهم فكان ما كان منهم من إلقائه بالجب وعودتهم عشاءً وهم يبكون ويزعمون أكل الذئب له مع إحضارهم لقميصه وقد لطخوه بالدم ليكون شاهداً على ما حصل ليوسف ولكن والدهم لم يصدق بهذا الأمر

(١) راجع: فتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين مرجع سابق.
(٢) سورة يوسف، الآية ٨.

وقال لهم بلسان الواثق ﴿**بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾(١). وهكذا تبين صدق حدس هذا الشيخ الكبير. يعقوب عليه السلام فيما توقعه من أبنائه تجاه ابنه يوسف عليه السلام ولا غرابة في ذلك فهو نبي الله ينظر بنور الله جل وعلا ولكنه بعد وقوع المحذور لم يزد على الاسترجاع والصبر لعلمه بأن ذلك أمراً قد قضاه الله وقدره وكل قضاء قضاه الله سيقع لا محال والمؤمن الحق هو الذي يصبر على المقدر لأنه بصبره يحصل على الأجر والثواب من الله تعالى فكيف بأنبياء الله تعالى الذين يضربون بأفعالهم وأقوالهم أروع الأمثلة في الصبر وهم بذلك قدوة لغيرهم ومثالاً يحتذى لمن بعدهم فصلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

(١) سورة يوسف، من الآية ١٨.

المبحث الرابع
الوصية الثانية
"إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون"

أخذ الحيطة والحذر

المؤمن كيِّس فطن ينظر بنور الله تعالى كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **{اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ: إن في ذلك لآيات للمتوسمين}**(١).

كان هذا القول من يعقوب بعد أن طلب منه أبناءه أن يترك يوسف يذهب معهم بعد أ، أظهروا له النصح والشفقة..: ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لاَ تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ**﴾(٢). "لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه ونشفق عليه؟ وفي هذا دليل على أنه أحس منهم أمراً أوجب أن لا يأمنهم عليه"(٣). وشدوا في طلبهم هذا متظاهرين بالنصح والشفقة وإرادة الخير ليوسف ﴿**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَداً يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾(٤). أي دعه وأتركه يذهب معنا إلى المرعى ليأكل ويشرب معنا ويسعى وينشط حيث يكون الخضر والمياه والزروع وهم يريدون من قولهم هذا: إن إلزامك إياه أن يكون بمكانك موجب لملاله القاطع لنشاطه على العبادة واكتساب الكمالات(٥). ولكن برغم التطمينات والوعود والإغراءات جاء صوت الوالد الخائف الذي يعرف بواطن الأمور ﴿**قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ**﴾(٦). أي يشق علي مفارقة يوسف مدة ذهابكم به إلى أن يرجع وذلك لفرط محبته له لما يتوسم فيه من الخير العظيم

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه ٣٦/٤، وقال: حديث غريب وقال السخاوي بعدما ساق الحديث من عدة طرق: "كلها ضعيفة" وقال الهيثمي "رواه الطبراني" وبإسناد ضعيف ونقل المناوي عن السيوطي أن هذا الحديث حسن صحيح راجع فيض القدير ١٤٤/١.
(٢) سورة يوسف، الآية ١١.
(٣) الكشاف للزمخشري ٢٤٤/٢.
(٤) سورة يوسف، الآية ١٢.
(٥) تفسير القاسمي ٢٠٠/٩.
(٦) سورة يوسف، الآية ١٣.

وشمائل النبوة والكمال في الخلق والخُلق. فهمها زعمتم أنكم له حافظون فحفظكم إنما يكون ما دمتم ناظرين إليه لكن لا يخلوا الإنسان عن الغفلة فأخاف غفلتكم عنه.

قال الزمخشري: اعتذر لهم بأمرين: أحدهما: أن ذهابهم به ومفارقته إياه مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة. والثاني: خوفه عليه من عدوه الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم(١).

قال ابن المنير: وكان أشغل الأمرين لقلبه خوف الذئب عليه لأنه مظنة هلاكه وأما حزنه لمفارقته ريثما يرتع ويلعب ويعود سالماً إليه عما قليل فأمر سهل فكأنهم لم يشتغلوا إلا بتأمينه وتطمينه من أشد الأمرين عليه والله أعلم(٢). وقد ورد أنه رأى في النوم أن الذئب قد شدّ على يوسف فكان يحذره ثم قال لهم ذلك فلقنهم العلة وفي الأمثال: البلاء مكل بالمنطق. ثم جاء الرد منهم بعد هذا التخوف من أبيهم ﴿**قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذاً لَّخَاسِرُونَ**﴾(٣).

أي: لئن عدا عليه الذئب فأكله من بيننا و نحن جماعة إنا إذاً لهالكون عاجزون(٤). وبعد أن وافق الأب المسكين على طلب أبنائه الذين ألحوا عليه لأمر قد قدره الله وقضاه ذهبوا بيوسف وأجمعوا أمرهم على جعلهم في غيابه الجب وجعلوه فيها فعلاً أوحى الله تعالى إلى يوسف أنك ستنجو مما أنت فيه وتحدثهم بما فعلوا بك وهم لا يشعرون بوحينا إليك(٥). ورجعوا إلى أبيهم عشاءً يبكون متظاهرين بالفزع والأسف على يوسف وهم يرددون ما قصه الله بقوله: ﴿**قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ**﴾(٦). وهذا الاعتذار منهم بهذه الطريقة الماكرة التي توهم موت يوسف حتى ينقطع عن الوالد ما كان يتمنى لتنقطع محبته عنه ولو بعد حين فيرجع إليهم بالحب الكلّي وكان مقدمهم في هذا الوقت وقت العشاء لكونه وقت الظلمة حتى لا ينغرس في وجوههم الكذب لأن الكاذب يتبين على

(١) الكشاف للزمخشري ٢/٢٤٤.
(٢) الانتصاف فيماتضمنه الكشاف من الاعتزال، تأليف ناصر الدين أحمد بن المنير الأسكندري، حاشية على الكشاف انظر الكشاف للزمخشري ٢/٢٤٥.
(٣) سورة يوسف الآية ١٤.
(٤) تفسير ابن كثير ٢/٤٧٠.
(٥) تفسير ابن عطية ٩/٢٦١
(٦) سورة يوسف، الآية ١٧.

قسمات وجهه وعينيه ولم يكتفوا بمجرد الكلام المعسول الرقيق بل جاءوا بدليل حسي مادي على ما يزعمون أنه حصل ليوسف ﴿**وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**﴾(١). ولكن الوالد العارف بالأحوال والذي سبر شؤون أولاده وخبرها وكان يخاف هذا الأمر على ابنه يوسف حيث حذره من ذلك مراراً لم يزد على الصبر والتسليم لما حصل وحدث لأنه يدري ويجزم أن هذا ما صار إلا بقضاء الله وقدره ولا مجال هنا لغير التسليم والرضى بما جاء من عند الله فكان أن قال بلغة الواثق بربه المعتمد عليه المتوكل عليه حق التوكل "فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون" ومن خلال استعراضنا لمجريات الأحداث في هذا الجانب من حياة يوسف مع أبيه واخوته يتبين لنا:

١- أن المؤمن كيّس فطن لمّاح لأنه ينظر بنور الله تعالى تلك منزلة يعطيها الله لأوليائه وأصفيائه من الأنبياء والمؤمنين.

٢- أن الحذر لا ينجي من القدر وأن ما قضاه الله وقدره لابد أن يقع ولو اجتمعت الخلائق على منع ذلكل ما استطاعوا وقد ثبت في حديث ابن عباس ﷺ أنه قال: "كنت خلف النبي ﷺ يوماً فقال: **يا غلام احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سالت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئٍ لن ينفعوك إلا بشئٍ قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئٍ لن يضروك بشئٍ إلا قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف**"(٢).

٣- أن الأخذ بالأسباب والعمل بها من الأشياء التي أمر المسلم بالعمل بها وهي لا تنافي التوكل على الله فهذا نبي الله يعقوب - عليه السلام - يحاول منع أولاده من الخروج بأخيهم خوفاً عليه فلما لم يقتنع الإخوة بذلك حذرهم وأمرهم بأخذ الحيطة والحذر وهذه كلها أسباب مباحة ولكن قدر الله صائر ونافذ.

٤- أن بكاء المرء لا يدل على صدقه لاحتمال أن يكون هذا البكاء تصنعاً يخفي وراءه أمراً آخر.

---

(١) سورة يوسف، الآية ١٨.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في سننه ٦٧/٤، أبواب صفة القيامة، وأخرجه الإمام أحمد في المسند ج٤٨٤/٤.

٥- أن المؤمن يرضى بقضاء الله وقدره ويكل الأمور إلى الله ويحتسب الأجر على المصائب التي تقع عليه من الله فلا يجزع ولا يولول ليفوز بالأجر والثواب ويرزقه الله الخير في الدنيا قبل الآخرة.

٦- أن العدل بين الأولاد في المحبة أمرٌ واجب فعلاوة على أنه لا يجوز التفريق بينهم فإن هذا التفريق قد يؤدي إلى نتائج عكسية وعواقب وخيمة بل ربما أدى الأمر بمن وقع عليه ضرر منهم أن يلحق الضرر بالآخرين.. وهذا يلمح من خلال حوار إخوة يوسف مع بعضهم حتى اشتكوا من محبة أبيهم ليوسف وأخيه وتفضيلهما بالمحبة والقرب عليهم ومن ثم أجمعوا واتفقوا على فعلتهم التي حكاها الله تعالى عنهم ونفذّوها - لأمرٍ قضاه الله وقدره - وفي شرعنا المطهر دلت الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب العدل بين الأولاد في العطية والهبة والمشتروات وحتى في العواطف لأن ذلك يبعد من أنفسهم الحزازات ويجعلهم أكثر ترابطاً ومحبةً فيما بينهم.

المبحث الخامس

الوصية الثالثة
وقال يا بني لا تدخلوا من بابٍ واحدٍ وادخلوا من أبوابٍ متفرقةٍ

تفادي أسباب العين

العين لغة: يقال: عنت الرجل إذا أصبته بعينك[١] وعان الرجل يعينه عيناً فهو عائن، والمصاب معين على النقص، ومعيون على التمام أصابه بالعين.

وقال الزجاج: المعين: المصاب بالعين - والمعيون: الذي فيه العين[٢].

والعين في الاصطلاح: نظر باستحسان مشوب بحسد من خبيث الطبع يحمل للمنظور منه ضرر[٣].

وقال ابن القيم: هي سهام تخرج من نفس الحاسد والعائن نحو المحسود والمعين تصيبه تارة وتخطئه تارة فإن صادقته مكشوفاً لا وقاية عليه أثرت به ولابد، وإن صادفته حذراً شاكي السلام لا منفذ فيه للسهام لم تؤثر فيه، وربما ردت السهام على صاحبها وهذه بمثابة الرمي الحسي سواء، فهذا من النفوس والأرواح، وذاك من الأجسام والأشباح وأصله من إعجاب العائن بالشئ ثم تتبعه كيفية نفسه الخبيثة ثم تستعين على تنفيذ سمها بنظرة إلى المعين وقد يعين الرجل نفسه وقد يعين بغير إرادته بل بطبعه وهذا أردأ ما يكون من النوع الإنساني[٤]. ولقد دل الكتاب والسنة على إثبات العين.

قال تعالى على لسان نبيه يعقوب عليه السلام ﴿**يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ**﴾[٥].

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٩٩/٤.
(٢) لسان العرب لابن منظور ٣٠١/١٣.
(٣) فتح الباري ابن حجر ٢٠٠/١٠.
(٤) زاد المعاد لابن القيم ١٦٧/٤-١٦٨.
(٥) سورة يوسف، الآية ٦٧.

قال ابن عباس، والضحاك، وقتادة، ومحمد بن كعب، والسدي: إنه خشي عليهم العين لأنهم رجالٌ لهم جمالُ وهيبة .. فخاف عليهم العين إذا دخلوا جماعة من طريق واحد وهم أولاد رجلٌ واحد فأمرهم أن يفترقوا في الدخول(١).

وقال سبحانه: ﴿**وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ، وَمَا هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ**﴾(٢). قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: "ليلزقونك": لينفذونك "بأبصارهم" أي: يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبعضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم، وفي هذه الآية دليلٌ على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل(٣).

وقال تعالى: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، مِن شَرِّ مَا خَلَقَ، وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ، وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي العُقَدِ، وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾(٤). والشاهد من الآية قوله "ومن شر حاسدٍ إذا حسد".

قال قتادة، وعطاء الخرساني: من شر عينه ونفسه(٥). وجاء في السنة ما يدل على ثبوت العين وأنها حق فمن ذلك:

١- ما رواه أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **{العين حق ونهى عن الوشم}**(٦).

٢- وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: {العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغتسلوا"(٧).

---

(١) تفسير الطبري ١٣/٨، ١٤.
(٢) سورة القلم، الآيتان ٥١، ٥٢.
(٣) تفسير ابن كثير ٤٠٩/٤.
(٤) سورة الفلق.
(٥) تفسير الطبري ٣٥٤/١٥.
(٦) الحديث أخرجه البخاري في الصحيح من حديث أبي هيريرة ٢٣/٧، وأخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة ولم يذكر الوشم ١٧١٩/٤.
(٧) أخرجه مسلم في الصحيح من حديث ابن عباس ١٧١٩/٤، وأخرجه الترمذي في السنن من حديث ابن عباس ٢٦٨/٣.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة يكفي ما أشرنا إليه منها. وللعين أنواع فهناك العين الإنسية وهي التي تصدر من البشر ودليل ثبوتها قوله ﷺ لعامر بن ربيعة حين عان سهل ابن حنيف، **{علام يقتل أحدكم أخاه}**(١).

وعين جنّية وهي التي تصدر من الجن ودليل ثبوتها: ما روته أم سلمة رضى الله عنها أن النبي ﷺ رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: **{استرقوا فها فإن بها نظرة}**(٢).

قال الحسين بن مسعود الفراء: سفعة: أي نظرة يعني من الجن(٣).

قال ابن قتيبة: والسفعة لون يخالف لون الوجه.

قال الخطابي: عيون الجن أنفد من الأسنة.

وقال ابن القيم: العين عينان: عينٌ إنسية، وعينٌ جنية(٤).

والعين لا تؤثر إلا بإرادة الله ومشيئته لأن فعل العائن أو قوله إنما هي أسباب والأسباب لا تؤثر بنفسها ولكن الله يفعل عندهما ما يشاء ويريد وقد يؤذي العائن نفسه بعينه لها، وقد يعين غيره وقد يعين بغير إرادته، وقد يصيب العائن من غير رؤيته للمعين كأن يكون أعمى، أو أن يكون غائباً فيوصف له المعيون من غير أن يراه.. وقد تصيب العين مع الإعجاب من غير حسد.. وقد تقع العين ممن يحب مع محبوبه، وتقع من الرجل الصالح ولذا يسن لمن وقع بصره على شئ أعجبه من نفسه أو أهله أو غيره أن يبادر إلى ذكر الله ليدفع عن نفسه وغيره الأذى.

قال ابن القيّم: ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية بل قد يكون أعمى فيوصف له الشئ فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية(٥). ويقول أيضاً وأصله من إعجاب العائن بالشئ ثم تتبعه كيفية

(١) أخرجه مالك في الموطأ/ كتاب الجامع/ الوضوء من العين ص ٦٧٠، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطب من سننه باب العين ١١٦٠/٢.
(٢) أخرجه البخاري في الصحيح ٢٣/٧، وأخرجه مسلم في الصحيح ١٧٢٥/٤.
(٣) زاد المعاد لابن القيم ١٦٤/٤.
(٤) المرجع السابق ١٦٤/٤.
(٥) المرجع السابق ١٦٧/٤.

كيفية نفسه الخبيثة ثم تستعين على تنفيذ سمها بنظرة إلى المعين، وقد يعين الرجل نفسه، وقد يعين بغير إرادته، بل بطبعه، وهذا أردأ ما يكون من النوع الإنساني(١).

وللوقاية من العين ودفع شر الحاسد أرشد الشرع المطهر إلى جملة من السبل تقي من تمسك بها وعمل بها بإذن الله من العين وشرور الحاسدين فمن ذلك: التعوذ بالله من شر الحاسد وقراءة المعوذتين لما روى أبو سعيد الخدري: "أن رسول الله ﷺ، كان يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما"(٢).

ومن ذلك: الدعاء بالبركة إذا رأى المرء ما يعجبه يقول ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿**وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ**﴾(٣).

هذا تحضيض وحث على ذلك أي: هلا إذا أعجبتك حين دخلتها ونظرت إليها حمدت على ما أنعم به عليه وأعطاك من المال والولد ما لم يعطه غيرك وقلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله"(٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **{من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره}**(٥).

وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: **{إذا رأى أحدكم من نفسه أو ماله أو أخيه شيئاً يعجبه فليدع بالبركة فإن العين حق}**(٦).

ومن ذلك: الصبر على من عرف بالعين وعدم التعرض له أو إيذائه والإحسان إليه اتقاء شره وابتعاداً عن أذاه ومن ذلك: ستر ما يخشى عليه الإصابة بالعين فإذا كان لدى الإنسان ما يخشى عليه الإصابة بالعين فعليه أن يحرص على عدم إظهارها وإبرازه خاصة أمام من هو معروف بالعين.. وكذلك الاختراز من العائن باجتنابه وعدم مخالطته

(١) المرجع السابق، ١٦٧/٤، ١٦٨.
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الطب من سننه، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين ٢٦٧/٣، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الطب من سننه، باب من استرقى من العين ١١٦١/٢.
(٣) سورة الكهف، من الآية ٣٩.
(٤) تفسير ابن كثير ٨٤/٣.
(٥) رواه ابن السني في عمل اليوم والليلة. وانظر الوابل الصيب ص ٣٠٧.
(٦) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة ص ٢٣٤، ٥٦٤، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢١٦/٤، وقال: صحيح ووافقه الذهبي.

والاستعانة على قضاء الحوائج بالكتمان مع اليقين التام مع ذلككله بأن كل شئ بأمر الله وقدره وأنه لا مفر ولا محيد ولا مهرب مما قضاه الله وقدره ومن ذلك: تقوى الله وحفظه والتوكل عليه وحده والإقبال عليه والإخلاص له وتجريد التوبة إلى الله من الذنوب والمعاصي فإن من حفظ الله حفظه الله وما من مصيبة تقع إبا بسبب الذنوب والمعاصي والتفريط في حقوق الله ومن ذا الذي يستطيع أن ينال من أحد شيئاً وهو في حفظ الله ورعايته.

وفي قصة يعقوب عليه السلام توجه لأبنائه بأخذ الحيطة والحذر عند دخولهم إلى مصر حيث قال لهم: ﴿**وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ**﴾[1]، فقد أمرهم لما جهزهم مع أخيهم بنيامين إلى مصر أن لا يدخلوا كلهم من بابٍ واحدٍ وليدخلوا من أبواب متفرقة لئلا يستلفت دخولهم من بابٍ واحدٍ الأنظار.

يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: والذي عليه جمهور المفسرين أن يعقوب أوصى بنيه أن لا يدخلوا من بابٍ واحدٍ لأنه خاف من العين عليهم وذلك أنهم كانوا ذوي جمالٍ وهيئةٍ حسنة ومنظرٍ وبهاء فخشى عليهم أن يصيبهم الناس بعيونهم فإن العين حق تستنزل الفارس عن فرسه"[2]. وهذا التوجيه من أبيهم لهم ليس مانعاً من إصابتهم بالعين لأنه لا يغني سبب عن قدر إذا أراد الله ذلك. ولقد أشار يعقوب إلى هذا المعنى بقوله: "وما أغنى عنكم من الله من شئ إن الحكم إلا الله عليه توكلت وعليه فليتول المتوكلون"[3].

يقول ابن كثير رحمه الله: أي إن هذا الاحراز لا يرد قدر الله وقضاءه فإن الله إذا أراد شيئاً "لا يخالف ويمانع"[4]. ﴿**وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ**

(١) سورة يوسف، الآية ٦٧.
(٢) تفسير ابن كثير ٢/٤٨٤.
(٣) سورة يوسف، الآية ٦٧.
(٤) تفسير ابن كثير ٢/٤٨٤.

يَعْلَمُونَ﴾[1]. قال المفسرون: لما قال يعقوب: وما أغني عنكم من الله من شئ صدق الله في ذلك فقال تعالى: ﴿**وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ**﴾ أي: "أن دخولهم متفرقين ما كان يرد قضاء الله ولا أمراً قدره الله فلو قّدر أن تصيبهم العين لأصابتهم وهم متفرقون كما تصيبهم وهم مجتمعون فالحذر لا يدفع القدر.. وقوله "إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها" فإنه استثناء منقطع. والمعنى: لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها وهذه الحاجة: خوفه عليهم من إصابة العين "وإنه لذو علم لما علمناه" أي أن يعقوب لذو علم بأمر دينه" ولكن أكثر الناس لا يعلمون "أي لا يعلمون ما يعلم يعقوب من أمر دينه[2].

وهكذا ساق لنا كتاب الله هذا التوجيه الكريم من نبي الله يعقوب عليه السلام لأبنائه ليبين لنا أن الأنبياء وهم العارفين بربهم حق المعرفة عرفوا مقدرة الله وإحاطته سبحانه بالأمور فلم يزيدوا على فعل الأسباب المشروعة والأخذ بها وتركوا النتائج والنهايات للخالق جل وعلا وهذا هو الواجب على المسلم أن يفعله فلا يعطل الأسباب ولا يتكل عليها كُلِّيةً. نسأل الله أن ينفعنا بما يعلمنا وأن يرزقنا العمل بما علَّمنا إنه سميعٌ مجيب.

المبحث السادس

(١) سورة يوسف، ٦٨الآية .
(٢) تفسير الرازي ١٧٦/١٨، وتفسير القرطبي ١٤٩/٩، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج ١١٩/٣.

الوصية الرابعة
يا بَنِّيَ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ...

عدم اليأس من روح الله

في هذا المقام من وصايا يعقوب لأبنائه وتوجيهه لهم يحثهم على الذهاب للبحث عن أخويهم وبذل وُسعهم وطاقتهم في ذلك ويحذرهم من اليأس من رحمة الله ولطفه، لأنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرين ولا شك أن المرء مطلوب منه بذل الأسباب والأخذ بها ولكن مع عدم الاعتماد عليها لأن الاعتماد على الأسباب كُلِّيةً خطأ واضح.

إن المؤمن الواثق لا يفقد صفاء العقيدة ونور الإيمان إن هو فقد من صافيات الدنيا ما فقد .. أما الإنسان الجزوع فإن له من سوء الطبع ما ينفره من الصبر ويضيق عليه مسالك الفرج إذا نزلت به نازلة أو حلَّت به كارثة ضاقت عليه الأرض بما رحبت وتعجل في الخروج متعلقاً بما لا يضره ولا ينفعه.

إن كتاب ربنا يقص علينا خبر يعقب عليه السلام مع أبنائه وهو يعطيهم درساً بل دروساً في الصبر واليقين وعدم اليأس من رحمة الله تعالى وذلك حتى نجعل هذا الأمر نبراساً لنا في حياتنا الدنيا مجالاً للنكد والشقاء وميداناً للهموم والغم فإذا استحكمت الخطوب وتشابكت الكروب فإن للمؤمن في قول يعقوب عليه السلام ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(١). نبراساً نحو اليقين بالله والعلم به سبحانه علماً لا يرقى إليه الشك هذا العلم وهذا اليقين الذي دفعه عليه السلام أن يقول لأبنائه بلسان الواثق ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾(٢). هكذا يقين أرسي من الجبال وأشد ثباتاً من الحجارة وهذا ليس بغريب على أنبياء الله أصفيائه والعارفين به حق المعرفة ...

إن اليأس طريق من طرق الشيطان ومسلك من مسالكه يوهن به عزائم البعض ويفت في عضده ليدفعه إلى الركون وعدم الثقة بالله ولما قيل للحَسَنْ رحمه الله: ألا

(١) سورة يوسف، الآية ٨٦.
(٢) سورة يوسف، الآية ٨٧.

يستحي أحدنا من ربه يستغفر من ذنوبه ثم يعود ثم يستغفر ثم يعود فقال: ودّ الشيطان لو ظفر منكم بهذا فلا تملّوا من الاستغفار.

إن المؤمن بتوكله على ربه وثقته به وبما عنده وعدم يأسه من رحمته إنما يكتب الشيطان ووساوسه ويعظم ربه وخالقه، وإذا صدقت حاله في ذلك مع ربه وجد بَرْدَ الرضى وعاش قرير العين مرتاح البال مطمئن النفس ...

إن في هذا الموقف من يعقوب عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام لدرساً عظيماً ونبراساً حكيماً فيما يعرض للمؤمنين في حياته.

فإذا دعا الإنسان ربه وتوجه إليه ورفع أكف الضراعة نحوه فلا يستبطئ الإجابة ولا يردد القول بأنه دعا ثم دعا فلم ير آثار الدعاء بل عليه أن يستمر في دعائه وتضرعه لأن دعائه عبادة لله ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾[1]، وإذا أبطأ النصر على المسلمين وزاغت منهم الأبصار وبلغت القلوب الحناجر فإياهم والظن السئ بالله جل وعلا أو القول بأننا دعونا ولم يستجب لنا بل عليهم مواصلة الدعاء فلربما كان الدعاء دافعاً لأمرٍ أعظم مما حل بهم ووقع..

وإذا دعوت أحداً لدين الله أو حاولت إصلاح ولدٍ فلم تفلح فلا تيأس من رحمة الله جل وعلا وواصل هذا العمل والفعل لأنك بهذا الإصرار على العمل تسد منافذ الشيطان وتضيق الخناق عليه وبالجملة فإن الثقة بالله وقوة الرجاء به تدفع إلى التوكل الحق عليه وتكون النتيجة بإذن الله حصول المطلوب وتحقق المرغوب لأن الله وعد ذلك في كتابه ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ ونهى عن اليأس من رحمته والتخاذل عن اللجوء إليه ﴿**إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾.

المبحث السابع
الوصية الخامسة
فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه

(١) سورة غافر، الآية ٦٠.

فارتد بصيراً قال ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون

التثبيت وعدم الاستعجال في الأحكام

التثبيت في الأحكام وعدم الاستعجال بإصدارها دون نظرٍ أو تمحيص منهج إسلامي فريد يحث عليه ديننا ويدعو إليه ويوجه الأنظار إليه في أكثر من موطن ومما لا شك فيه أن الحكم إذا بني على مقدمة فاسدة وغير صحيحة فإنه يكون كجرفٍ هار ينهار سريعاً ولا يثبت كثيراً أما إذا كان مبناه على الحقيقة مدعماً بها فإنه يثبت ولا تؤثر فيه المؤثرات أيّاً كانت. وفي قصة يعقوب عليه السلام مع أبنائه ما يشير إلى هذا المعنى ويؤكده فلقد كان يعقوب عليه السلام على ثقةٍ من وعد ربه له حيث توكل عليه وأسلم الأمر إليه وفوض حاله له ﴿**وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُتَوَكِّلُونَ**﴾(١). ثم يقول - عليه السلام - وهو أعظم أملاً وبربه أكثر تعلقاً ﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ**﴾(٢). كل ذلك من هذا الشيخ الكبير صاحب القلب الوجيع ثم يقول ﴿**قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾(٣).

يقينٌ أرسى من الجبال وعلم بالله لا يرقى إليه شك وإن من علمه وقوة يقينه ورجائه أن أمر أبناءه ﴿**يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ القَوْمُ الكَافِرُونَ**﴾(٤).

إن المؤمن الواثق لا يفقد صفاء العقيدة ونور الإيمان إن هو فقد من صافيات الدنيا ما فقد.

أما الإنسان الجزوع فإن له من سوء الطبع ما ينفره من الصبر ويضق عليه مسالك الفرج إذا نزلت به نازلة أو حلّت به كارثة ضاقت عليه الأرض بما رحبت وتعجل في الخروج متعلقاً بما لا يضره ولا ينفعه.

(١) سورة يوسف، الآية ٦٧.
(٢) سورة يوسف، الآية ٨٣.
(٣) سورة يوسف، الآية ٨٦.
(٤) سورة يوسف، الآية ٨٧.

إن ضعف اليقين عند هؤلاء يصدهم عن الحق ويضلّهم عن الجادة فيخضعون ويذلّون لغير رب الأرباب ومسبب الأسباب يتملقون العبيد ويتمرغون في أوحال الذل والمهانة دعوة الأحجار وعبادة للأشجار، والله تعالى قد أعزهم ورفعهم بأن أمرهم ألا يتوجهوا إلا إليه في الرخاء والشدة لأنه الذي بيده مفاتيح الفرج وعنده حل المشكلات ومن عنده تقضي الحاجات .. ولكن أبناء يعقوب لضعف وقلة يقينهم بالله قالوا لولدهم ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ**﴾[1]. فجاءهم جواب الشيخ الدامع الملئ بالإيمان والذي يفيض توكلاً وأملاً برب الأرباب ومسبب الأسباب "قال إنما أشكو بَثِّيَ وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون".

إنه التوكل على حقيقته والإيمان الجازم بوعد الله للصابرين ومع ذلك لم يقعد ويتخاذل معتمداً على توكله على الله فقط ولكنه أمر أولاده ببذل الأسباب والبحث والتحري وعدم اليأس "يا بَنِّيَ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح اله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرين". وما علم هؤلاء الأبناء أن الفرج مع الصبر وأن الرحمة مع شدة البلاء وكم من محنة في طيها منح ورحمات ومع شدة البلاء على هذا الشيخ المجاهد الصابر الموقن بوعد ربه يقترب الفرج وتلوح بشائر الانفراج للأزمة ﴿**وَلَمَّا فَصَلَتِ العِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ**﴾[2]. وفنّده: نسبه إلى الفَنَد بفتحتين وهو ضعف الرأي والعقل من الهرم وكبر السن. قال في العناية: مأخوذ من الفَنَد وهو الحجر والصخرة، كأنه جعل حجراً لقلة فهمه. ثم اتسع فيه فقيل: فنّده إذا ضعف رأيه ولامه على ما فعله"[3].

وجاء الجواب من حفدته ومن أبناءه ﴿**قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلالِكَ القَدِيمِ**﴾[4]، أي: لفي ذهابك عن الصواب المتقدم وخطأك القديم وحبك القديم ليوسف لا تتساه ولا تسلوه وإنما خاطبوه بذلك لاعتقادهم أن يوف قد مات"[5]. ﴿**فَلَمَّا أَن جَاءَ البَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[6]. لما وصل المخبر إلى

(١) سورة يوسف، الآية ٨٥.
(٢) سورة يوسف، الآية ٩٤.
(٣) محاسن التأويل للقاسمي ٢٧٦/٩.
(٤) سورة يوسف، الآية ٩٥.
(٥) المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ٢٨٥.
(٦) سورة يوسف، الآية ٩٦.

يعقوب عليه السلام بما يسره من أمر يوسف ألقى القميص - قميص يوسف - على وجه يعقوب فارتد بصيراً بعد أن كان أعمى حيث عمي من كثرة البكاء والحزن على أبنائه فقال مخاطباً أبناءه الذين سفهوه وفندوه عندما أخبرهم بأنه يجد ريح يوسف قال لهم لائماً لهم ومعلماً لهم بعدم الاستعجال وأن يتريثوا في الأمور والأحكام "ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تعلمون" فجاء الاعتراف منهم مباشرة بما ارتكبوه من خطأ في حق إخوانهم ووالدهم فطلبوا من أبيهم العفو والصفح والاستغفار لهم وإنما سألوه ذلك لأنهم ادخلوا عليه من ألم الحزن ما لم يسقط المأثم عنهم إلا بإحلاله.

وبرحمة الوالد الحاني وخلق النبي الكريم الموحي إليه من ربه كانت الاستجابة من يعقوب لأبنائه من شدة الجرم الذي ارتكبوه والذنب الذي اقترفوه فجاءت عباراته كما حكاها القرآن الكريم ﴿**قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾(١). أي سوف أدعوه لكم فإنه المتجاوز عن السيئات الرحيم لمن تاب .. وقد روي أنه آخّر الاستغفار لهم إلى السحر ويقوي هذا التأويل قول النبي ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هريرة قال قال رسول الله ﷺ: **{ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني فاستجب له فلا يزال كذلك حتى يضئ الفجر}** وفي رواية أخرى: **{ إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه ...}**(٢). ويقوي هذا التأويل أيضاً قوله تعالى: ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾(٣)، وقوله جل وعلا ﴿**وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ**﴾(٤)، وتخصيص الأوقات الفاضلة بالاستغفار والدعاء معروف في شرعة الإسلام ومنه الاستغفار في السحر وعقب الصلاة وعند الآذان وبينه وبين الإقامة(٥). وهكذا التم شمل الأسرة بعد شتات واجتمعت بعد فرقة بفضل الله ثم بصبر هذا الشيخ الذي ضرب بصبره أروع الأمثال وبصبر يوسف عليه السلام وأخيه وتحملهما المشاق والمصاعب والمتاعب في سبيل رضا ربهما حيث لم تؤثر في يوسف المغريات ولم تثنه عن ربه الملهيات بل ظل صابراً صامداً ودخل السجن في سبيل محافظته على دينه وتمسكه بأوامر خالقه ومولاه

(١) سورية يوسف، الآية ٩٨.
(٢) أخرجه البخاري في الصحيح باب التهجد بالليل ٤٧/٢، والإمام مسلم في الصحيح كتاب صلاة المسافرين ٥٢٢/١.
(٣) سورة آل عمران، من الآية ١٧.
(٤) سورة الذاريات، من الآية ١٨.
(٥) تفسير بن عطية ٣٧٦/٩، وتفسير القاسمي ٢٧٨/٩.

وهذه نتيجة الصبر وفائدة التوكل الحق على الله جل وعلا ولا غرابة في ذلك فآل يعقوب غصن من دوحة إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وهم جميعاً صفوة الله من خلقه اجتباهم لرسالته واختارهم لحمل دعوته وإبلاغها للعالمين فلابد من تمحيصهم وتطهيرهم ليظهر صلب عودهم وقوة عزيمتهم فصلوات الله وأزكى سلامه وتحياته عليهم وعلى نبينا محمد إمام الصابرين وصفوة الخلق أجمعين.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتتقضي الحاجات أحمده وأشكره حيث من على بإتمام هذه الورقات في هذا الموضوع في ظلال القرآن الكريم فقد عشت مع جملة من آياته وعجائبه التي لا تنقضي وتجلُّ عن الحصر والعد ولا غرابة في ذلك فهو كلام رب العالمين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد .. لقد كان في قصة يوسف وإخوته عبرة للمعتبرين وآيات للسائلين ونبراساً للمهتدين وتلك أحوال الأنبياء والمرسلين فيها الدروس والفوائد للدعاة والعلماء وللبشرية جمعاء ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثاً يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾(١).

ولقد تجلّت في خلال هذه الرحلة القصيرة جملة من الفوائد ومن أبرزها:

١- أن الوصية لفظ جامع يشمل التبرع بالمال بعد الموت كما يشمل الأمر المؤكد الذي يقع به الزجر عنا لمنهيات والحث عن المأمورات.

٢- أن في قصص الأنبياء عليهم السلام العبرة والعظمة لمن ألقى السمع وهو شهيد وفي قصة يوسف مع إخوته ووالدهم ما يؤكد هذا الأمر.

٣- أن الحس صفة ذميمة وخصلة مكروهة بسبب خرج إبليس من الجنة وأبعد من رحمة الله تعالى.

٤- أن الغبطة لا تدخل ضمن الحسن غذ هي تمني مثل ما لدى الآخر خاصة إذا كان في أعمال الخير من غير تمني زوال النعمة عن المغبوط لأن فيها تنافساً على الخير خاصة إذا اقترنت بنفس راضية مطمئنة تحب لإخوانها كما تحب لها هي.

٥- أن المؤمن كيِّس فطن لماح ينظر بنور الله ويزن الأمور بفراسته التي أعطاها الله إياه ولهذا فإن أحكام هذا الصنف من الناس تأتي دائماً موافقة للحق ومع الحق.

---

(١) سورة يوسف، الآية ١١١.

٦- إن الحذر لا ينجي من القدر وما قضاه الله وقدره ولابد أن يقع ويحصل مهما بذل العبد من الأسباب ولكن الإيمان بالقضاء والقدر لا ينافي الأخذ بالأسباب والعمل بها لأن ترك الأخذ بالأسباب والعمل بها اعتماداً على التوكل ينافي كما التوحيد.

٧- إن المؤمن يرضى ويسلم بأقدار الله وما قضاه عليه لأن ما كتب في اللوح المحفوظ على المرء ستراه عيناه ولن يتخلف من ذلك شئ أبداً.

٨- أن العين حق ولو كان شئ سابق القدر لسبقته العين وإن ما يقع بسبب العين إنما هو داخل ضمن قضاء الله وقدره على المرء بذل الأسباب المنجية من العين من التوكل على الله والتحصن بالأوراد والأذكار الواردة والأدعية المأثورة فإن في ذلك دفع لأقدار الله بأقدار الله والدعاء جزء من القدر المقدور بإذن الله.

٩- أن على المؤمن ألا ييأس من روح الله بل يحسن الظن بالله فإنه تعالى عند حسن ظن عبده به وحسن الظن بالله من كمال إيمان العبد بربه سبحانه وتعالى.

١٠- أن التثبت في الأخبار والتأكد من صحتها وعدم الاستعجال في الأمور من سمات المؤمنين الصادقين وعلامات الموحدين المخلصين فلا يدفع المرء غضب لإلصاق التهم جزافاً بأناس ربما كانوا أبرياء لا ذنب لهم وفي التأني السلامة كما قيل وفي العجلة الندامة كل الندامة.

١١- إن هذه القصة بحاجة إلى مزيد دراسة لأن فيها من العبر والعظات ما لا يمكن لمثلي في مثل هذه العجالة أن يوفيه حقه ولكن فيما قدمت إشارات وومضات علّها تثير الدرب وتمهده لبحوث مستقبلية بإذن الله حول هذه السورة.

وبالله التوفيق وصلى الله وسلم وبارك
على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين

قائمة مراجع البحث

* **القرآن الكريم.**

* **الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال**
للإمام ناصر الدين أحمدبن المنير الإسكندري المالكي
حاشية على الكشاف للزمخشري
دار المعرفة بيروت.

* **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**
لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي
المكتبة العامة بيروت لبنان

* **التعريفات**
لعلي بن محمد الجرجاني
دار الكتب العلمية بيروت لبنان

* **تفسير القرآن العظيم**
لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي دار الفكر

* **تهذيب اللغة**
لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري
تحقيق عبد السلام محمد هارون
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة

* **تخريج الوصايا من جنايا الزوايا، وصايا الله، ووصايا رسوله، ووصايا صالحي أمته، وأحكام الوصية في السنة.**
لصديق حسن القونجي
المؤسسة المصرية العامة للتأليف
الدار المصرية للتأليف والترجمة

* **التفسير الكبير**
للإمام الفخر الرازي
دار إحياء التراث العربي بيروت

* **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري
دار الفكر بيروت لبنان

* **الجامع لأحكام القرآن**
لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي
دار الكتب العلمية بيروت لبنان

* **زاد المعاد في هدي خير العباد**
لأبن قيم الجوزيه
تحقيق شعيب الأرناؤط وعبد القادر الأرناؤط
مؤسسة الرسالة بيروت لبنان

* **سنن أبي داود**
لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني
دار إحياء التراث الإسلامي بيروت لبنان

* **سنن الترمذي**
للإمام أبي عيسى محمد بن عيس بن سورة الترمذي
دار الفكر

* **سنن ابن ماجه**
لمحمد بن يزيد القزويني بن ماجه
دار إحياء التراث العربي

* **صحيح البخاري**
للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
توزيع المكتبة التجارية – المروة – مكة المكرمة

* **صحيح مسلم**
للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي
نشر وتوزيع رئاسة البحوث

* **ضعيف سنن الترمذي**
لمحمد ناصر الدين الألباني
المكتب الإسلامي

* **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**
لأحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي
تحقيق الدكتور: محمد التونجي
عالم الكتب بيروت

* **عمل اليوم والليلة**
للإمام أحمد بن شعيب النسائي
مؤسسة الرسالة بيروت لبنان

* **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**
لابن حجر
المكتبة السلفية

* **فتح الحق المبين في علاج الصرع والسحر والعين**
تأليف د. عبد الله بن محمد الطيار وسامي بن سلمان المبارك
دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية

* **القاموس المحيط**
لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي
دار الجيل

* **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**
لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري
دار المعرفة – بيروت

* **لسان العرب**
لجمال الدين محمد بن مكرم بن منظور
دار صادر - بيروت

* **مسند الإمام أحمد بن حنبل**
مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

* **المستدرك على الصحيحين**
للحاكم النيسابوري
دار الكتب العلمية

* **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**
وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي
دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع

* **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث**
مطبعة بريل في مدينة ليدن

* **المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة**
تأليف الدكتور/ عبد الكريم زيدان
مؤسسة الرسالة بيروت لبنان

* **موطأ الإمام مالك**
رواية يحيى بن يحيى الليثي
دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع

* **المفردات في غريب القرآن**
لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان

* **معجم مقاييس اللغة**
لأبي الحسين أ؛مد بن فارس بن زكريا
تحقيق: عبد السلام هارون
دار الكتب العلمية - إسماعيليات نجفي إيران - قم

* **معاني القرآن وإعرابه للزجاج**
تحقيق دكتور عبد الجليل عبده شلبي
عالم الكتب بيروت لبنان

* **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**
للقاضي: أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي
تحقيق المجلس العلمي بفاس
توزيع مكتبة ابن تيمية بالقاهرة

* **محاسن التأويل**
لمحمد جمال الدين القاسمي
دار الفكر بيروت

* **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**
لابن قيم الجوزيه
تحقيق الشيخ إسماعيل الأنصاري
رئاسة البحوث العلمية في المملكة

* **الوصية بيانها وأحكامها**
للشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة
المقدمة	٣٣٣
المبحث الأول: تعريف الوصية لغة واصطلاحاً	٣٣٥
المبحث الثاني: موجز لقصة يوسف مع والده وأخوته	٣٣٧
المبحث الثالث: الوصية الأولى	٣٤٣
المبحث الرابع: الوصية الثانية	٣٤٧
المبحث الخامس: الوصية الثالثة	٣٥١
المبحث السادس: الوصية الرابعة	٣٥٧
المبحث السابع: الوصية الخامسة	٣٥٩
الخاتمة	**٣٦٣**
قائمة مراجع البحث	**٣٦٥**

بسم الله الرحمن الرحيم

تعريف مختصر للباحث

د.سعود بن عبد العزيز بن سلميان الحمد:

- درس الابتدائية في مدرسة موسى بن نصير بالزلفي وأكملها عام ١٣٩١-١٣٩٢هـ.
- درس المتوسطة والثانوية في المعهد العلمي بالزلفي وحصل على الشهادة الثانوية عام ١٣٩٧-١٣٩٨هـ
- حصل على البكالوريوس من كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فرع القصيم عام ١٤٠٢هـ.
- حصل على الماجستير بتقدير ممتاز من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٧هـ من خلال: تحقق المروي عن ابن عباس من أول سورة طه إلى سورة العنكبوت.
- حصل على الدكتوراه مع مرتبة الشرف الثانية من قسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤١٥ من خلال: تفسير أبي الليث السمرقندي من أول سورة الرعد إلى نهاية سورة السجدة.
- عين أستاذاً مساعداً بقسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم عام ١٤١٧هـ.
- أوفد للعمل بمعهد العلوم العربية والإسلامية التابع لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في رأس الخيمة بدولة الإمارات العربية المتحدة لمدة أربع سنوات من عام ١٤١٤هـ حتى نهاية عام ١٤١٧هـ.
- عين رئيساً لقسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم.
- عيّن أستاذاً مشاركاً بقسم القرآن وعلومه بكلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم عام ١٤٢٦هـ.